مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢/٢٠٠٥

الأحد ٩ كانون الثاني

الأحد بعد الظهور الإلهي

تذكار القديس بوليفكتس الشهيد

اللحن السابع

إنجيل السَحَر العاشر

الرسالة

(أفسس ٤:٧–١٣)

يا إخوةُ لكلِّ واحدٍ منَّا أُعطيَتِ النِّعمةُ على مقدارِ موهِبَةِ المسيح* فلذلكَ يقولُ لمَّا صعِدَ إلى العُلى سبى سبياً وأعطى الناسَ عطايا* فكونُهُ صعِدَ هل هو إلاَّ أنَّهُ نزلَ أولاً إلى أسافلِ الأرض* فذاكَ الذي نزَلَ هو الذي صَعِدَ أيضاً فوقَ السمواتِ كلِّها ليملأَ كلَّ شيءٍ* وهو قد أعطى أن يكونَ البعضُ رُسلاً والبعضُ أنبياءَ والبعضُ مبشِّرين والبعضُ رعاةً ومعلِّمين* لأجلِ تكميلِ القديسينَ ولعملِ الخدمةِ وبُنيانِ جسَدِ المسيح* إلى أن ننتهي جميعُنا إلى وِحدةِ الإيمانِ ومعرفةِ ابنِ اللهِ إلى إنسانٍ كاملٍ إلى مقدارِ قامَةِ ملءِ المسيح.

الإنجيل

(متى ٤:١٢–١٧)

في ذلك الزمانِ لمَّا سمعَ يسوعُ أنَّ يوحنا قد أُسلِمَ

عظة رأس السنة

صباح السبت ١ كانون الثاني ٢٠٠٥ وبمناسبة ذكرى ختانة السيد وتذكار أبينا الجليل في القديسين باسيليوس الكبير ورأس السنة ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي في كنيسة نياح السيدة في رأس بيروت وألقى بعد الإنجيل العظة التالية:

«باسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين.

يا أحبة، بينما كنت أتأمل في هذا المقطع الإنجيلي (لو ٢: ٢٠–٢١ و٤٠–٥٢)، استوقفتني نقاط كثيرة يجدر التوقف عندها. لفتني موضوع الختان. لماذا اختتن يسوع؟ لماذا أُعطي اسماً عند ختانته في اليوم الثامن، كما يُعطى الطفل المعمود اسماً جديداً يوم معموديته؟ في كثير من البلدان الأرثوذكسية، كما تعلمون، يُطلق على المعمود اسم يتعلّق بالقداسة؛ اسم قديس. وكأن هذا الإسم هو الجسر الذي سيربطه بالله، أو كأنه المثال والقدوة أو الصورة التي سيتماهى بها هذا الطفل النامي عندما يكبر.

ولكني تأملت بجواب الرب يسوع على سؤال والدته ويوسف القائلين له: «لماذا فعلت بنا هكذا؟ هوذا أبوك وأنا كنّا نطلبك معذّبين» (لو ٢:٤٨). أنتم تذكرون كيف أن مريم أمه ويوسف هربا به إلى مصر خوفاً عليه من أن يُقتل. هذا الجرح في الذاكرة باقٍ. إنه خوف الوالدين على أولادهم، خوف له مبرراته. فأجاب وقال لهما: «لماذا كنتما تطلبانني؟ ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي؟» (لو ٢: ٤٩) وكأنه يقول لهما: «ألا تذكران الأحلام والرؤى التي حصلت لكما؟ ألم تجدا فيها أموراً مختلفة عن المألوف؟ ألم تجدي أن المولود منك هو مختلف عن الآخرين؟ أنا هو الذي بشّر به الملاك. أنا هو من قيل عنه إنه «يدعى عمانوئيل الذي تفسيره الله معنا» (متى ١:٢٣). أنا هو الإبن المتجسد. أنا الله الذي اتخذ من أحشائك، يا أمي، جسداً، لأتمثل بالناس حتى يتماثلوا هم أيضاً أبي، أي لكي أصبح إنساناً مثلهم حتى يصيروا من خلالي آلهة. ينبغي أن أكون في ما هو لأبي. أنتِ تعلمين ويوسف يعلم بأنه ليس بأبي. هو يعرف أنه وصيّ عليّ. وأنتِ من جهة ثانية وصيَّة عليّ. إن انتمائي الحقيقي هو لأبي السماوي. ارتباطي الحقيقي، وجودي الحقيقي، هو في الله».

لذلك قال يسوع لتلاميذه فيما بعد: «من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني» (متى ١٠:٣٧). من أحب أماً أو أختاً أكثر مني فلا يستحقني. لا بل إنه يقول في إنجيل لوقا: «إن كان أحدٌ يأتي إليّ ولا يُبغض أباه وأمّه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى نفسه

انصرفَ إلى الجليل* وتركَ النـاصرةَ وجـاءَ فسكنَ في كَفْرَناحوم التي على شاطئِ البـحـرِ فـي تخومِ زبولونَ ونفـتـاليـمَ* ليتمَّ مـا قيلَ بـإشِعيـاءَ الـنبي الـقائل: أرضُ زبـــولـــونَ وأرضُ نفتـاليم طريقُ البحرِ عَبْرَ الأُردنِ جليلُ الأُممِ* الشعبُ الجالسُ في الظلمةِ أبصرَ نوراً عظيماً والجالسون في بُقعةِ الموتِ وظلالهِ أشرقَ عليهم نورٌ* ومنذئذٍ ابتدأ يسوعُ يكرزُ ويقولُ: توبوا، فقدِ اقتربَ ملكوتُ السموات.

تأمل

«حينئذٍ أتى يسوع من الـجـلـيـل إلـى الأردن، إلـى يوحنا، ليعتمد منه» (متى ١٣:٣).

لقد جاء الرب، يا إخوتي، يعتمد مع العبيد والقاضي مـع الـمـجـرمـين. غـير أنَّ اتّضاع الله هذا، لا يجوز أن يَشغَلَ بالكم، لأنه تعالى، فـي تنازله العظيم يُظهرُ مجده العظيم. أتعجبونَ من أنَّ الـذي شـاء أن يـمـكُـثَ أشـهـراً فـي أحشاءِ عذراءَ، وأن يـخـرج مـنـهـا لابسـاً طبيعتنا، والذي شاء فيما بعد أن يتحمَّل اللّطم وعذاب الصليب وغيره مما تحمَّل حُـبـاً لـنـا، أن يَشـاء أيضـاً تـقـبُّـل الـعـمـاد، والإتِّـضـاع

أيضاً فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً» (٢٦:١٤).

البغض هنا يعني توخي الحذر من أية تجربة تجذبنا بعيداً عن الله. لذلك قال لهما: أنتما وصيّين عليّ حتى أصبح في سن الثلاثين وأنطلق في رسالتي.

لقد بقي يسوع في الهيكل، لأن الـهـيـكـل هـو عـلامـة حضور الـلـه، والمتألهون لا يفرحون ولا يغتبطون إلا إذا كانوا في حضرة الله في كل حين. أراد يسوع أن يـقـول لـوالديـه ولـكـل مـن يـقـرأ الإنجيل، بـأن الذي يحب الله هو إنسان يحب الكنيسة، وهـي الـهـيـكـل حيث يـلـتـقي الإنسان بـأبيه السماوي.

الـهيكل، يـا أحبـة، هـو المركز الأساسي لعبادة الله، ذلك أنه مركز محسوس لـلـحضرة الإلـهـية. أستطيع أن أعبد الله في كل مكان وزمان، ولكن عندما آتي إلى الكنيسة، فهذه عـلامـة ظـاهـرة ومـنـظـورة أشـهـد بـواسـطـتـهـا لـلـه، مـن خلالـهـا أؤكـد لـنـفـسي ولـلآخـريـن بـأنـي أحب الـلـه وأدعوهـم ليتشبهوا بي. عندما آتي إلى الكنيسة لأني أحب أن أكون مع جماعة أتآخى معها، أحبها، أجعلها عائلتي وأرى الله فيها.

يقول داود النبي كلاماً جميلاً فـيـمـا يـخـتص بـالـمـؤمن وعلاقـتـه بـالـهـيـكـل، أي بـالـكـنـيـسـة، بمكان الصلاة: «مـا أحلـى مساكنك يـا رب الجنود تشتاق بل تتوق نفسي إلى ديـار الرب. قـلـبـي ولـحـمـي يـهـتـفـان بـالإلـه الـحـيّ، إن يـومـاً واحـداً فـي ديـارك يـا رب خـيـر مـن آلاف» (مز ١٠:٨٣). ويضيف: «فرحت بـالـقـائلين لي إلى بيت الرب نذهب» (مز ١٢١: ١). إن المؤمن لا يفرح فقط بذهابه إلى الكنيسة بل عندما يرى الناس ذاهـبـيـن إلـى الـكـنـيـسـة. لا شك أن السموات هي كرسي الرب، وهو يسود على السماء والأرض ومملكته تسود على الجميع. إن الأرضي هو صورة السماوي. لـقد أراد يسوع أن يـقـول لوالديه «علاقتي هي مع أبي كيانية لأنها في داخلي، في الأعماق هي، والله ثابت أمين».

إن الله أمين في كل أعماله تجاه الإنـسـان ولـكـنِ الإنـسـان يـبـادلـه خيانـات يـومـيـة متكررة. الله أمين، صادق، مخلِّص. يسوع ابن الله كان أولاً صادقاً ومخلصاً لأبيه السماوي وبعد ذلك لوالدته وليوسف لأنه ذهب إلى الناصرة وكان خاضعاً لهما في كل شيء.

الأمانة هي من صفات الرب. الله أمـين ومـخـلِص، والإخلاص يجعل الإنسان ثـابـتـاً غير متزعزع، عائشاً في المحبة كل حين.

المخلِصون يحبّون ويثبتون. من هنا أريد أن أقول أن الأمينَ ثابت في علاقته، غير متردد. المخلِص يكون كذلك كل أيام حياته، حياته الصدق بعينه.

تتذكرون إيليا، الذي تـحـبـونـه، عـنـدمـا كـان مـع آلـهـة الـبـعل. هـؤلاء كانوا يعتبرون أنفسهم معلّمي الأمّة. قـال لـهـم ولـلـشـعب: «حـتـى مـتـى تعرجون بين الفريقين؟ إن كان الرب هو الإله، إن كان هو الله فاتبعوه وإن كـان الـبـعـل فـاتـبـعـوه». فلم يـجـبـه الشعب بكلمة.يقول الرسول يعقوب: «رجل ذو رأيين هو متقلقل في جميع طرقه» (يع ٨:١). ويقول الرب يسوع: «إن انقسَمت مملكة على ذاتها لا تقدر تلك المملكة أن تثبت» (مر ٢٤:٣).

لـكـن قـول الـرب يسوع لـوالـدتـه وليوسف: «عليّ أن أكون في ما هو لأبي» (لو ٤٩:٢) جعلني أفكر وأتأمل بـبـلـدي وتـسـاءلـت: «هـل شـعـبـي هـو كشعب إيليا يعرج بين الفريقين؟ هل يـعـرف شـعـبـي طـريـقـه؟ هـل طـريـق إنـسـان بـلـدي مـسـتـقـيـمـة؟ هـل قـلـبـه متكامل ومنسجم؟ يقول إيليا:إن كنت تريد أن تكون هنا فكن، وإن أردت أن تكون هناك فاذهب إلى هناك، لأنك إذا بقِيت كما أنت فلست بـالأمين أو المخلص لبلدك.

يقول الرب: «قد قسموا قلوبهم الآن يعاقبون» (هو ٢:١٠). شعبنا يا أحبة فـي غـالـب الأحـيـان مـنـقـسـم الـقـلـب،

أمام عبده مختلطاً مع جمهور الخطأة؟ أمّا ما يجب أن يذهلنا، فهو أن يكون الله قد تنازل وصار إنساناً، لأنه بعدَ هذا التنازل الأول لم يعُدِ الباقي سوى نتيجةٍ طبيعيّةٍ.

وهكذا لكي يبيّن لنا يوحنا مقدار اتضاع ابن الله، سبق وقال انه لا يستحق أن يحلّ سير حذائه. وانه الديّان العادل الذي يحاسب كلاً بحسب أعماله، وأن يفيض نِعَم الروح القدس على كل الناس، حتى إذا رأيتموه آتياً إلى العماد لا ترون مهانة في هذا الاتضاع. وعلى هذا، عندما شاهده يوحنا أمامه، أخذ يمانعه قائلاً: «أنا المحتاج إلى أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ». وبما ان عماد يسوع كان عماد التوبة، وكان يقضي على المعتمدين أن يعترفوا بخطاياهم، فلكي يستدرك يوحنا ويبيّن لليهود أن المسيح لم يأتِ إلى عماده على هذه النيّة، دعاه أمام الشعب، «حمل الله» والمخلّص الذي يمحو خطايا العالم. لأنّ مَن كان له السلطان أن يمحو كل خطايا الجنس البشري، يقتضي بأول حجة أن يكون هو نفسه بريئاً من

سطحي في تعاطيه، لا رؤية له. إنه أحياناً مثل ذلك الوحش الخيالي ذو العيون الكثيرة ولكنه لا يستقر في اتجاه يسير عليه. ليس له عين تقوده إلى هدف محدد. البلد ضائع لأنه يسير بدون تخطيط. لم نسمع مرة بخطة واحدة. لا أحد يقول لنا ما هو المستقبل الذي نتوقعه أو نتوخاه. نجد أناساً يتعاركون فكراً أو قولاً أو عملاً، ولكننا لم نرَ مسؤولاً أو مجموعة مسؤولين تقول لنا: هذا هو برنامجنا الذي سنعمل على تحقيقه، صلّوا من أجلنا لكي ننجح. نحن لا نعرف في أي اتجاه نسير. تسألون عن الشأن الماليّ؛ وأنا لا أعرف عنه كثيراً، ولكن يقلقني كثيراً أن أرى من هم أصحاب اختصاص فيه، مضطربون.

أعود وأسأل هل شعبي أمين؟ هل شعبي مخلّص؟ هل شعبي صادق؟ هل هو سائر في طريق الصلاح؟ أم أنه فاسد يفسد كل طفل يولد؟ هل يعي المسؤول أن لبنان وديعة بين يديه. اسألوا أي إنسان إن كان يشعر بأن المسؤولين يحملون لبنان بين دفتي قلوبهم وباعتقادي أننا لن نجد على سؤالنا جواباً واضحاً. لا أحد يستطيع القول إن اللبناني لا يفهم. أحصوا عدد الجامعات. نحن كنا نصدِّر العلم مع أنه كانت عندنا جامعتان فقط. لا يستطيع أحد أن يشكك بقدرة اللبناني، ولكننا لا نأخذ قراراتنا لوحدنا. لا يمكن لمن يعمل بوصايا الرب أن يعمل لمصالحه الشخصية بل يعمل لما يرضي الرب. إن شعبي لا يستطيع أن يأخذ قراراً حراً. هناك حديث عن وحدة المسار ولكننا لا نعلم ما هي طبيعة هذا المسار أو صيرورته. في وحدة المسار يسلك الشريكان معاً دون أن تُنتقص حرية أو كرامة أيٍّ منهما. فهل هي حالنا هكذا اليوم؟

أحدهم قال إننا ما زلنا قاصرين. بماذا نحن قاصرون؟ رجال لبنان في كل ميادين العلم والثقافة والاقتصاد يبرعون. من لا يعرف ذلك، هو جاهل أو عبد لشخص آخر. الناس لا ترى الأمور بوضوح.

نحن نتمنى أن نكون معاً لأنه ما أجمل أن تسكن الإخوة معاً، ولكن لا أحد يتجرأ أن يأخذ قراراً ويقول للآخر: هذا قراري، لا على سبيل العلم والخبر فقط، بل ليكون القرار موضوع تباحث ونقاش. «تعالوا نتحاجج يقول الرب».

حاولوا أن تقولوا للسياسي: أنت قاصر وانظروا ردة فعله. هذا يقودنا إلى موضوع الوصاية. حتى متى تبقى الوصاية؟ هل نحن أطفال؟ من يقول عن نفسه إنه طفل؟ أريد أن أسأل: أي مسؤول يجاهر بنفسه ويقول بأنه طفل ويحتاج إلى وصاية.

حالياً نسمع كلاماً مستحدثاً مفاده أننا إذ تُركنا وشأننا سنتقاتل. هل نحن بلا عقل؟ وهل أصبح لبنان مستشفى للمجانين؟ وفي هذه الحال ألا يوجد طبيب ليسأل ما هو المرض؟ وفي حال عودة القتال، من أو ما هو الذي يوقع الخلاف بين اللبنانيين؟

هل وصل لبنان الذي كان يصدّر الفكر إلى هذا الدرك؟ أليس صحيحاً أن الكل يتمنون أن يصبحوا لبنانيين؟

أريد أن أقول لكم أخيراً إن الشعب اللبناني شعب واعٍ ولكننا أوصلناه إلى حافة اليأس لدرجة أنه في كل يوم هناك أناس تُشترى. من يصل إلى حافة اليأس، ولا إيمان عنده، يصير شراؤه ممكناً. ومن تأبى نفسه من شبابنا أن يُشترى يترك البلد ويهاجر.

أريد أن أسأل: هل صحيح أننا سنتقاتل إن تُركنا وشأننا، مع الحفاظ على أفضل العلاقات والتعاون، فعلاً لا قولاً. ألا يستحق هذا الموضوع دراسة معمقة؟ ألا يستحق هذا البلد أن تُجرى من أجله دراسة حول هذا الموضوع؟ لماذا يُخيفوننا ببعضنا؟

الخطأ.

«وعندما اعتمدَ يسوع انفتحت السموات». لماذا انفتحت السماء عندما اعتمد يسوع المسيح؟ لكي يُفهمكم أنَّ الأمر عينَه يحدُثُ بنوعٍ غير منظور، عند عمادكم، حيث يدعوكم الله إلى وطنكم السماوي ويُحرِّضُكم على ألاَّ تتمسَّكوا كثيراً بالأرض. وإنْ تكن هذه الأعجوبة لا تحدُثُ معكم بنوعٍ منظور، فلا تدعوا مع ذلك مجالاً للشكِّ فيها.

لقد تعوَّدَ الله في تأسيس أسراره، أن يُظهِرَ بعض أدلَّةٍ وخوارق خارجيَّة، للنفوس الغشيمة التي لا تستطيع أن تفهم شيئاً من الروحانيات ولا تتأثر إلاَّ بما يُلامس الحواس، حتى إذا عُرِضَتْ علينا هذه الأخبار، بدون أن ترافِقَها هذه العجائب نقتبلها حالاً بطواعيَّة الإيمان الراسخ. وهكذا عندما حلَّ الروح القدس على الرسل، سُمِعَتْ ضجَّة عاصفة عنيفة، وظهرت ألسنةٌ من نار. ولم تحدث هذه الأعجوبة لأجل الرسل، بل لليهود الحاضرين هنالك. فإذا كنا لا نرى الآن الأدلَّةَ عينَها، مع ذلك ننالُ ذات النِعَم التي كانت تمثِّلُها هذه الأدلَّة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

في هذا البلد تكثر الصور من كل الدنيا. اذهبوا إلى أي بلد آخر تريدونه، فهل تشاهدون صورة ما لأناس من بلدنا؟ لماذا يُستباح هذا البلد؟ إننا مدعوون لأن نكون مع بعضنا البعض بقلب واحد ويد واحدة، فالجار للجار، والأخ للأخ، ولكن من يقبل أن يُسكن معه وفي بيته أخاه وعائلة أخيه؟ كم يمكن لهذا الأمر أن يدوم؟ لا بد أن نحترم خصوصية الآخر للحفاظ على طيِّب العلاقات.

يا أحبة نحن نحتاج إلى أمناء مثل الرب. كما قلت لكم: الرب ثابت وأمين في إخلاصه، في محبته، ولكن الإنسان إن كان خائناً لله خالقه فهو خائن للدنيا كلها. نحن نشأنا على محبة الجار والقريب ولكن انفضوا الغبار عن أذهانكم لأننا لا نريد أن نكون أذلاء. اكبروا، فتشوا عن كرامتكم. اسمعوا ما يحدث من حولكم فلا شيء يطمئن له القلب.

نحن نسأل الله أن يبقي لبنان مصدر إشعاع، ناشراً نوره على كل الدنيا، فاللبناني صاحب طاقة بسبب من انفتاحه على الدنيا كلها. انظروا إلى أولادكم وما لديهم من طاقات تعرفون قدرة لبنان. نحن نحتاج إلى رجال دولة يملكون العلم والجرأة، يحترمون الكلمة ولا يكثرون منها عن غير طائل.

فلنرجع إلى الله ونقول مثل يسوع: «ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي». عليّ أن أكون صادقاً، محباً، مضحيًّا. الآخرون في قلوبنا ولكن المحبة تُحرِّرُ ولا تستعبد. ونحن أيضاً لا نرضى أن نكون عبيداً.

ساعدكم الله أن تكونوا في المحبة أحراراً كل حين، في هذه السنة الآتية علينا وفي كل سنة ليفتخر العالم بكم ولكي يصدر عنكم الخير والنور، بركة من الله للناس أجمعين، آمين».

قداس مسائي

ببركة سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس الجزيل الإحترام يُقام قداس إلهي مسائي عند السادسة والنصف من مساء كل يوم أربعاء في كنيسة دير القديسة كاترينا في زهرة الاحسان وذلك ابتداءً من الأربعاء ١٢ كانون الثاني ٢٠٠٥.

يأتي هذا القداس ليُلبي طلب العاملين والشباب من أبنائنا الذين لا يستطيعون المشاركة في القداديس الإلهية الصباحية في أيام الأسبوع العادية وذلك بسبب أعمالهم وجامعاتهم. لذا نأمل أن يكون هذا القداس المسائي لمنفعتهم ولخيرهم الروحي.

أسبوع الصلاة من أجل الوحدة

بمناسبة افتتاح أسبوع الصلاة من أجل الوحدة تُقام خدمة صلاة الغروب عند الخامسة من مساء السبت ١٥ كانون الثاني ٢٠٠٥ في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة وذلك بحضور السادة مطارنة بيروت لكافة العائلات الروحية المسيحية.

لذلك ندعو كافة المؤمنين للمشاركة في هذه الصلاة من أجل وحدة كنيسة المسيح.

«فكونوا كلُّ واحدٍ مع الآخر جوقةً تسهمون كلكم بصوتٍ واحد، بواسطة يسوع المسيح، في تسبيح الآب... إنه ليفيدكم أن تبقوا في الوحدة الكاملة، حتى يمكنكم دوماً أن تشتركوا بحياة الله» (القديس إغناطيوس الإنطاكي).

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:
www.quartos.org.lb